Coptic Orthodox Church
الكنيسة القبطية الأرثوذكسية
دراسات كتابية وآبائية
Biblical and Patristic Studies

أنت سماء
وإلى سماءٍ تعود!

القمص
تادرس يعقوب ملطي

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم في حديثه عن الصعود إن كانت خطايانا قد أحدَرتْ طبيعتنا وأفسدتها حتى صارت أحيانًا أدنى من الحيوانات التي تحكمها الغرائز الطبيعية، فإن مُخَلِّصنا جَدَّدها لنرتفع به إلى السماوات، فنعبر إلى حضن الآب، ونوجد شركاء في المجد الأبدي. يقول [أُنظروا إلى طبيعتنا كيف اِنحطَّت ثم ارتفعت. فما كان يمكن النزول أكثر مما نزل إليه الإنسان، ولا يمكن الصعود إلى أكثر مما ارتفع إليه المسيح.] كما يقول: [إن كانت الملائكة تفرح متى رأت إنسانًا خاطئًا يرجع إلى الله تائبًا، فكيف لا تمتلئ فرحًا عظيمًا عندما ترى الطبيعة البشرية كلها في بكرها، تصعد اليوم إلى السماء؟!]

لاهوت الله لا يُحَد، فتجسد كلمة الله لا يعني أن لاهوته صار محدودًا، بل يملأ السماء والأرض. صعد مسيحنا كلمة الله المتجسد إلى السماء، فصار لنا حق الدخول في السماء. هكذا بصعوده إلى السماء، لم يفارق بلاهوته أرضنا، بل صارت الكنيسة جسد المسيح السماوي، تحمل بروحه القدوس شركة الطبيعة الإلهية (٢ بط ١: ٤). وهي بعد تجاهد على الأرض، رأسها المسيح قائم في السماء، وقلبها يرتفع يومًا فيومًا نحو السماء! كأن لا شيء لها هنا على الأرض، وها هي تتحد بخالق السماء والأرض، السماوي العجيب!

هذا هو رصيد الكنيسة السماوي، يتمتع كل عضو فيها بعمل الروح القدس فيه فينعم بالفرح، بل ويحمل في داخله واهب الفرح. كل عضو يُعبِّر عن فرحه السماوي حسب الموهبة المعطاة له.

بهذا يصير صعود رب المجد يسوع مُتعة روحية تعيشها في أعماقك. تراه حاملاً إياك إلى سماواته بعدما يُلْهِب قلبك حنينًا إليها ويهيئه للتمتُّع بها. تراه داخلاً إلى أعماقك كما بموكبٍ ملوكي سماوي ليُقِيم مملكته وسماواته فيك. تنفتح أمامك أبواب السماء كل يومٍ، وتنفتح أبواب قلبك أمام مسيحك بكونه عرشه.

رد الجوهرة المفقودة

في إبداع فائق يصور لنا مار يعقوب شخص السيد المسيح وعمله الخلاصي. فقد طأطأ كلمة الله السماوات ونزل (مز ١٤٤: ٥)، وحلّ بيننا كواحدٍ منا، بل ورقد في القبر كمن هو نائم وسط الأموات، وغطس إلى أعماق الجحيم وكرز للأرواح التي في السجن (١ بط ٣: ١٩) حيث التقط الجوهرة المفقودة، صورة الله التي فقدها آدم الأول وبنوه. لقد استردها آدم الثاني، وكما يقول الرسول: "كما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضًا صورة السماوي" (١ كو ١٥: ٤٩).

انطلق آدم الثاني "الرب من السماء" (١ كو ١٥: ٤٧)، ليقدم الجوهرة المفقودة للآب. الآن لا نعود نسمع مع آدم الأول: "لأنك تراب وإلى تراب تعود" (تك ٣: ١٩). إنما إذ نستتر في آدم الثاني نسمع كما يقول العلامة أوريجينوس: "أنت سماء وإلى سماءٍ تعود".

قلبك والأبواب الدهرية

إن كان مسيحنا قد صعد إلى السماء يحملنا فيه، وقد انفتحت وارتفعت أمامه الأبواب الدهرية، فإنه لا يستطيع قلبك أن يتمتَّع بالأبواب الدهرية المفتوحة ما لم ينفتح أولاً للسيد المسيح.

لا تعتذر أيها العزيز بخطاياك مهما بلغ ثقلها، ومهما كانت عبوديتك لها، فقد جاء مسيحنا ليدخل القلب الذي استسلم للفساد زمانًا هذا مقداره، وهو الطبيب المُخَلِّص والمُحرِّر. ينتزع عنك سلطان الخطية وعذوبتها القاتلة، يُمَرِّرها في فمك مُقدِّمًا حياته سرّ عذوبة في داخلك. يُحَطِّم الأنا ويفتح أبواب قلبك، فتتمتع بالحب الإلهي، وتصير كأنك بكُليّتك حبًا، تحب الله أباك، وتحب ملكوته مع كل طغمات السمائيين؛ تحب القديسين، وتحب إخوتك وكل بني البشر مهما أغلقوا أبوابهم أمامك. لا تعرف إلا أن تحب، لتجد في المحبة الباذلة الحكيمة كل عذوبةٍ. بهذا يرتفع قلبك مع عريسك وتتمتع بصعوده كاختبار يومي مُعاش.

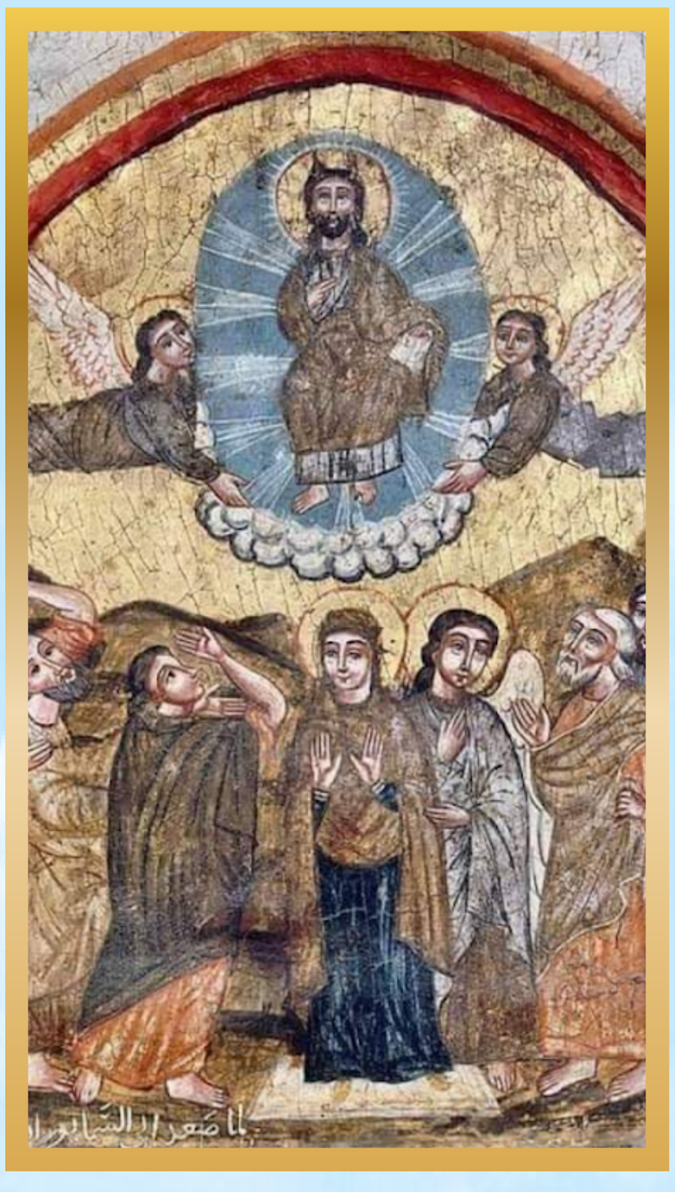

السماوات المفتوحة

❖ بصعودك يا رب حَقَّقت خلاصنا؛
نزلت إلى عالمنا، لكى تحملنا فيك إلى سماواتك!

❖ بصليبك افتح أبواب قلبي المغلقة،
فلا أتقوقع حول (الأنا)،
ولا أسلك في جحيم الأنانية،
بل أصير جنتك المُتَّسِعة حبًا،
فأُبْذَل كل يوم من أجلك ومن أجل إخوتي!

❖ لتدخل إلى جحيمي الداخلي وتُحوِّله إلى ملكوتك!
لتُحَطِّم متاريس أعماقي، ولتهبني الأبواب المفتوحة!
لتحملني مع اللص اليمين إلى فردوس حُبِّك!

❖ قمتَ من القبر وبابه مُغلَق،
لكي تدخل إلى عُلّيتنا وأبوابها مغلقة،
فتؤكد لنا أنه لا يقف أمامك ولا أمامنا باب مُغلَق!

❖ صعدت إلى السماوات، لتحملنا معك إلى مجدك!
اِرتفعتْ أمامك الأبواب الدهرية لأنك ملك المجد،
وترتفع أمامنا لأننا مَخْفيون فيك!

القمص تادرس يعقوب ملطي

عيد الصعود المجيد

يسرنا استقبال أي تعليق أو تصحيح لمراعاته في الطبعات التالية، وذلك خلال
Email: **notes.publications@gmail.com**

تصميم: فرح سعد